المحاضرة الخامسة
موسيقى المخمسات

أولا: تعريفها:

أ- **لغة**: التخميس: جَعَلَه الشيء خَمْسَةِ أَرْكَانٍ، وشيء مُخَمَّسٌ: له خمسةُ أركان،[1].

ب-**اصطلاحا**: المخّمس أو المخمّسات هو نوع من الشعر يقسّم فيه الشاعر قصيدته إلى خمسة أقسام، في كلّ منها خمسة أشطر، يُراعي فيها نظام معيّن للقافية.

ثانيا: الدافع لنشأتها:

ولم تكن فكرة التخميس موجودة في الشعر العربي القديم، وإنما وُجِدتْ عند المولّدين؛ فالتخميس فنٌّ من الفنون المستحدثة التي أوجدها المولّدون.

وكان الشعراء المولّدون إذا استحسنوا قصيدةً أو بيتاً أو أكثر عمدوا إلى مجاراته، ولهم في ذلك عدّة طرق فمنها: أن يقوموا بتشطير الأبيات أو البيت، أو معارضة القصيدة ومحاولة الوصول إلى معاني صاحبها أو (تخميسها) ؛ لعلّهم يلحقوا بصاحبها. وفي هذا الشأن يقول علي بن موسى المغربي: "جرت العادة عند المشارقة والمغاربة أن يعمدوا لشعر قد ولع أهل السماع بالغناء فيه فيخمسونه"[2].ومن الأمثلة على ذلك بيتا قيس بن الملوّح:

أمرّ على الدّيــار ديار ليـلى أُقبّل ذا الجـدار وذا الجـــدارا
وما حبّ الدّيار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديــارا

فخمّسه أحد الشعراء وقال: محبّ غــادر العبرات سيــلا لكي يحظى من الأحبـاب نيـلا
ألم ترني أجــوب البيد ليــلا (أمــر على الدّيـــار ديار ليـلى
أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا)
تهيِّج لوعــتي وتزيد كــربي ديـــــارٌ للّتي فتكـت بلــبي
بليت بحبها من دون صحبي (وما حبّ الدّيــار شغفن قلبي
ولكن حبّ من سكن الديارا)

ومع تطّور فن التخميس، لم يعد مرتبطا بمجاراة قصائد أخرى، وإنّما أصبح الشعراء ينظمون القصائد المخمّسة كلّها دون تأثّر بقصيدة معينة[3].

ثالثا: وزنها:

---

[1] - الفارابي إسحاق، بن إبراهيم بن الحسين (2003): معجم ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، مر: إبراهيم أنيس. مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ج2، ص358. المرسي، ابن سيده. (2000): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ج5، ص89. الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني. (1999): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تح: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان/ دار الفكر، دمشق- سورية، ط1، ج3، ص1926. والزبيدي، ج16، ص28، وابن منظور. ج 6، ص67، وعمر: ج1، ص69.

[2] - المغربي، علي بن موسى بن سعيد. (1425هـ .(المقتطف من أزاهر الطرف، دار النشر شركة أمل. القاهرة.، ج1، ص236.

[3] - يفرّق بعضهم بين التخميس والمخمّسة؛ فالتخميس هو مجاراة قصائد الغير، والمخمّسة هي من تأليف الشاعر دون مجاراة.

أشار ابن رشيق إلى أنّ الشعراء لم يستعملوا في المخمّسات إلاّ الرجز، لأنّه- حسب رأيه "وطيء سهل المراجعة"[4]. غير المخمسات لم ترد على بحر الرجز فحسب بل نظمت على بحور أخر مثل الوافر (وهو كثير) والخفيف[5] والسريع[6] والطويل[7]:

رابعا: أنواعها: والشعر المخمس نوعان:

النوع الأول: وهو الّذي تكون فيه الأشطر الخمسة ذات قافية واحدة، مستقلّة تمام الاستقلال في قوافيها وأوزانها عن الأشطر المخمّسات الأخرى، وهذا هو المخمّس الحقيقي، ولم يشع هذا الشعر بين الشعراء المحدثين، ومثاله قول إلياس فرحات في قصيدته (بين الطفولة والشباب):

ظلمتني ظلمتني يا دهـــــر ماذا تشا هل لك عندي ثـأر
كأن دمعي فوق خـــــدي نثر كأن صدري من سقامي شعر
وكل ضلع من ضلوعي شطر
قد صرت من حزني وامتعاضي كالهيكل الهـــادي إلى الأرباض
إنّ أذكـــر العهد اللذيذ الماضي يختلط الســـــواد بالبياض
وتمطر العين على الأنقـــاض

النوع الثاني: وهو الّذي تتفق فيه القافية في الأشطر الخمسة الأولى، وفي باقي مخمّسات القصيدة تكون للأشطر الأربعة الأولى من كلّ مخمّسة قافيتها الخاصة، وتتفق قافية الشطر الخامس مع باقي أقسام المخمّسة. وقد استحسن الشعراء موسيقى هذا النوع واستعذبوه، فأكثروا النظم فيه، ومثاله قول حافظ ابراهيم يُرثي الملة فيكتوريا:

أُعَزّي القَومَ لَو سَمِعـوا عَـزائي وَأُعلِنُ في مَليكَتِهِم رِثـــــائي
وَأَدعـــو الإِنجِليزَ إِلى الرِضـــاءِ بِحُكمِ اللَهِ جَبّـــــارِ السَماءِ
فَكُلُّ العالَمـــــــينَ إِلى فَنـــاءِ
أَشَمسُ المُلكِ أَم شَمسُ النَهـارِ هَوَت أَم تِلكَ مالِكَةُ البِحـارِ
فَطَرفُ الغَربِ بِالعَبَراتِ جاري وَعَينُ اليَمـِّ تَنظُرُ لِلبُخـــارِ
بِنَظرَةِ واجِـــــدٍ قَلِقِ الرَجاءِ

---

[4] - العمدة، ج1، ص180.

[5] - نموذج من الخفيف:

وَرَقِيبٍ يُـــــرَدِّدُ اللَّحْـــظَ رَدَّا لَيْسَ يَرْضَى سِوَى ازْدِيَادِيَ بُعْدَا	وَتَصَدَّى مِنْ فُحْشِـهِ فِي اسْتِبَاقِ يَمْنَعُ اللَّحْظَ مِنْ جَنى وَاعْتِنَـاقِ
سَاحِرَ الطَّرْفِ مُذْ جَنَى الْخَدُّ وَرْدَا إِنَّ يَوْمًا لِنَـــاظِرِي قَدْ تَبَدَّى	أَيْأَسَ الْعَيْنَ مِنْ لِحَـاظِ اعْتِنَـاقِ قَالَ جَفْنِي لِصِنْوِه: لَا تَـــــلَاقِي
فَتَمَلَّى مِنْ حُسْنِهِ تَكْحِيلَا	إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ لُقْيَاكَ مِيلَا

[6] - نموذج من السريع:

أَبصَرتُ في الحَقلِ قُبَيلَ المَغيب سُنْبُلَـــةً في سَفـــحِ ذاكَ الكَثيب	فَمُلتُ عَن راهِبَـــــةِ الحَقلِ وَسُـرتُ لا أَلـــــوي عَلى ظِلّي
حانِيَـــةً مُطرِقَـــــةَ الرَأس كَأَنَّـــما تَسجُـــــدُ لِلشَمْس	أَلتَقِـــطُ الحُب وَأَذريـــهِ وَتارَةً في النـــارِ أُلقيـــــهِ
وَأَنَّها تَتلو صَلاةَ المَســـاء	مُستَخرِجاً مِنهُ لِجِسمي غِذاء

[7] - نموذج من طويل:

تَنَشَّقَ مِن عَرفِ الصَبا ما تَنَشَّقا وَعاوَدَهُ ذِكرُ الصِبا فَتَشَـــوَّقا	خَليلَيَّ إِن أَجزَع فَقَد وَضَحَ العُذرُ وَإِن أَستَطِع صَبراً فَمِن شيمَتي الصَبرُ
وَما زالَ لَمعُ البَرقِ لَمّـــا تَأَلَّقا يُهيبُ بِدَمعِ العَينِ حَتّى تَدَفَّقا	وَإِن يَكُ رُزأٌ ما أَصـــابَ بِهِ الدَهرُ فَفي يَومِـــنا خَمرٌ وَفي غَـــــدِهِ أَمرُ
وَهَل يَملِكُ الدَمعُ المَشوقُ المُصَبَّأُ	وَلا عَجَبٌ إِنَّ الكَريمَ مُرَزَّأُ

ملاحظة: اكتفى المصنفون بتحديد نوعين من المخمسات فقط، غير أنّنا نجد بعضهم ينسج مخمسات على غير هذين النوعين حيث اعتمد الشعر المزدوج في إنشاء المخمسة، بحيث يكون الشطران الأولان مصرعان بقافية تختلف عن الشطرين الثالث والرابع، وتتفق قافية الشطر الخامس مع باقي أقسام المخمسة، مثل مخمسة إيليا أبو ماضي الّتي يقول فيها:

أَبصَرتُ في الحَقلِ قُبَيلَ المَغيب سُنْبُلَـةً في سَفـحِ ذاكَ الكَثيب
حانِيَـةً مُطرَقَـةَ الرَأسِ كَأَنَّـما تَسجُـدُ لِلشَمْسِ
وأَنَّها تَتلو صَلاةَ المَسـاء
فَمُلتُ عَن راهِبَـةِ الحَقلِ وَسُـرتُ لا أَلـوي عَلى ظِلّي
أَلتَقِـطُ الحُب وَأَذريـهِ وَتارَةً في النـارِ أُلقيـهِ
مُستَخرِجاً مِنهُ لِجِسمي غِذاء

نموذج من المخمسات:

- تخميس أبيات لأبي الطيب المتنبي التي بالأحمر

جفـاني الناس كلهـمُ وأنتا فخبتم "إن سعيكمُ لشتى"
تمثل يا فؤاديَ إن شكـوتا: رمـاني الدهر بالأرزاء حتّى
فؤاديَ في غشاء من نبـال
وقد عقم الزمان فلا كِـرامٌ ولكـن، اِستبد بـه لئـامٌ
كأن كَـلام أكثرهم كِـلام فصرت إذا أصابتني سهامٌ
تكسرت النصال على النصال
كذاك وإن تطايرت الشظايا فإنّي للصبـور على المنـايا
فجسمي طالما ألف البـلايا وهـان فمـا بـالي بالرزايا
لأني ما انتفعت بأن أبـالي

- تخميس صفي الدين الحلّي لأبيات من قصيدة السموأل

قبيح بمـن ضاقت عن الأرض أرضه وطـول الفـلا رحب لديـه وعرضُه
ولم يُبْـلِ سِرْيـال الدّجى فيـه ركضه إذا المر ء لم يدنس من اللّـؤم عرضه
فكُـل ردِاءٍ يرتديـه جميـل
إذا المرء لم يحْجُبْ عن العين نومـها ويُغْـلي من النّفس النّفيسة سومـها
أُضِيعَ ولم تَأْمـنْ معاليـه لومـها وإن هو لم يحمل على النّفس ضيمها
فليس إلى حسـن الثّنـاء سبيـل